مخمصةٌ في سبيل الله

(هَذَا أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلَهُ أَبُوكِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)[1]، لقد قالها النبي ﷺ لابنته فاطمة ﵂ عندما ناولته كِسرة خبز، قرأتُ هذا الحديث قديماً، لكن لم أتصور الحال، ومثلُه حديث عائشة ﵂: (إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلَالِ، ثُمَّ الهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ)[2].

لقد مرَّتْ الأيام ولم نأكل الطعام، ومرتْ أسابيع وأشهر ولم يوقد في بيوتنا نار، فَمِنَّا من هو خارجٌ للغزو، وَمِنَّا من فارق أهله فلا يرى أمَّاً ولا زوجاً تُعِدُّ له طعاماً، إنَّ ذلك كُلَّه يهون في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة:120].

وممَّا زاد المخمصة والجوع علينا أخلاقُ بعض التُجَّار الفُجَّار، الذين أرادوا بناء غناهم من بطون الجوعى والفقراء، ويا ويلهم من الله، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنِ احْتَكَرَ يُرِيدُ أَنْ يُغَالِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ، وَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ)[3].

كنَّا دائما ننظر إلى الأمور بإيجابية ونبحث عن المِنح وسط المِحن، فنحسب أنَّ الله يُربِّي بهذه الشدائد جيلاً عنيداً، جيلاً تعوَّد على قسوة العيش ونبذ المدنية والترف، لأنَّ الترف والرَّغد بريدُ الفساد، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16]، وقوله (أَمَرْنَا) هنا بِمَعْنَى أَكْثَرْنَا، أَيْ أَكْثَرْنَا مُتْرَفِيهَا

(1) مسند الإمام أحمد، حديث رقم 13223.
(2) صحيح البخاري، حديث رقم 2567.
(3) السنن الكبرى للبيهقي (6/ 49)، حديث رقم 11149.